شرح

القصيدة اللامية

شيخ الإسلام

أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني

لفضيلة الشيخ

زيد بن محمد المدخلي

حفظه الله تعالىٰ

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

http://www.attafreegh.com/

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يـا سَـائِلِي عَـنْ مَـذْهَبِي وعَقِيـدَتِي ... رُزِقَ الهُـدىٰ مَـنْ لِلْهِدايـةِ يَسْـأَلُ
اسـمَعْ كَـلامَ مُحَقِّـقٍ في قَوْلـه ... لا يَنْثَنـي عَنـهُ ولا يَتَبَـدَّلُ
حُـبُّ «الصَّـحابَةِ» كُلِّهُـمْ لـي مَـذْهَبٌ ... وَمَـوَدَّةُ القُرْبـىٰ بِهـا أَتَوَسّـلُ
وَلِكُلِّهِـمْ قَـدْرٌ عَـلاَ وَفَضَـائِلٌ[1] ... لكِنَّمـا «الصِّـديقُ» مِـنْهُمْ أَفْضَـلُ
وأَقُـولُ في «القُـرآنِ» مـا جـاءَتْ بِـهِ ... آياتُـهُ فَهُـوَ القَـديمُ[2] المُنْـزَلُ
وَأَقُـولُ قَـالَ اللهُ جَـلَّ جَـلالُهُ ... وَالْمُصْـطَفَىٰ الْهَـادِي وَلاَ أَتَـأَوَّلُ
وجميـعُ «آيـاتِ الصِّـفاتِ» أُمِرُّهـا ... حَقًّـا كمـا نَقَـلَ الطِّـرازُ الأَوَّلُ
وأَرُدُّ عُـهْدَتَهَا إلـىٰ نُقَّالِهـا ... وأصـونُها عـن كُـلِّ مـا يُتَخَيَّـلُ
قُبْحًـا لِمَـنْ نَبَـذَ «القُـرَانَ»[3] وراءَهُ ... وإذا اسْـتَدَلَّ يقـولُ قـالَ «الأخطَـلُ»
وَالْمُؤمِنُـونَ يَـرَوْنَ حقًّـا ربَّهُـمْ ... وإلـىٰ السَّمـاءِ بِغَيْـرِ كَيْـفٍ يَنْـزِلُ
وأُقِـرُّ بالميـزانِ والحَـوضِ الـذي ... أَرجـو بـأَنِّي مِنْـهُ رِيّـًا أَنْهَـلُ
وكـذا الصِّـراطُ يُمَـدُّ فـوقَ جَهَـنَّم ... فَمُسَـلَّمٌ[4] نَـاجٍ وآخَـرَ مُهْمِـلُ
والنَّـارُ يَصْـلاها الشَّـقيُّ بِحِكْمَـةٍ ... وكـذا التَّقِـيُّ إلـىٰ الجِنَـانِ سَـيَدْخُلُ
ولِكُـلِّ حَـيٍّ عاقِـلٍ في قَبْـرِهِ ... عَمَـلٌ يُقارِنُـهُ هنـاك وَيُسْـأَلُ
هـٰذا اعتقـادُ الشـافِعِيِّ ومالـكٍ ... وأبـي حنيفـةَ ثـم أحـمدَ يَنْقِـلُ
فـإِنِ اتَّبَعْـتَ سـبيلَهُمْ فَمُوَفَّـقٌ[5] ... وإِنِ ابْتَـدَعْتَ فَمـا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ

(١) في نسخة: قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ.

(٢) في نسخة: فَهُوَ الكَرِيمُ المنَزَّلُ.

(٣) في نسخة: الكِتابَ.

(٤) في نسخة: فَمُوَحِّدٌ.

(٥) في نسخة: فَمُوَحِّدٌ.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يـــا سَـــائِلِي عَـــنْ مَـــذْهَبِي وعَقِيـــدَتِي رُزِقَ الهُـــدىٰ مَـــنْ لِلْهِدايـــةِ يَسْـــأَلُ

[الشرح]

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

(يـــا سَـــائِلِي عَـــنْ مَـــذْهَبِي وعَقِيـــدَتِي رُزِقَ الهُـــدىٰ مَـــنْ لِلْهِدايـــةِ يَسْـــأَلُ)

هٰذا الخطاب موجه للناس جميعا؛ من يريد أن يعرف مذهب هٰذا الإمام وعقيدته فليصغي إلىٰ ما سطّره في هٰذه الأبيات القليلة فيما يتعلق بعقيدته التي لقي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عليها.

والشطر الثاني فيه دعاء منه رَحِمَهُ اللَّهُ بالهداية لمن يسأل عن سبيل الهداية (رُزِقَ الهُدىٰ) يعود علىٰ السائل (يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي) يعني هٰذا مذهبه في الاعتقاد (وعَقِيدَتِي، رُزِقَ الهُدىٰ مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ).

اســـمَعْ كَـــلامَ مُحَقِّـــقٍ فِي قَوْلِـــه لا يَنْثَنِـــي عَنـــهُ ولا يَتَبَـــدَّلُ

[الشرح]

ثم بدأ شرع بالبيان عن معتقده:

(اســـمَعْ كَـــلامَ مُحَقِّـــقٍ فِي قَوْلِـــه لا يَنْثَنِـــي عَنـــهُ ولا يَتَبَـــدَّلُ)

وعدٌ منه بأنه سيبين معتقده بالأدلة من الكتاب والسنة، وهٰذا هو المحقَّق، فهو محقِّقٌ في قوله؛ لأنه ينطلق من نصوص الكتاب والسُّنة، (لا يَنْثَنِي) لا يرجع عنه، وقوله: (لا يَتَبَدَّلُ)؛ لأنه يقول الحقَّ بنصوص شرعية صحيحة صريحة يبيِّنُها بمعانيها الصَّحيحة، ولا يتأوَّلُ شيئا منها تأويلًا مذمومًا.

حُـــبُّ «الصَّـــحابَةِ» كُلِّهِـــمْ لِـــي مَـــذْهَبٌ وَمَـــوَدَّةُ القُرْبَـــىٰ بِهَـــا أَتَوَسَّـــلُ

[الشرح]

ثم بدأ بعقيدته في أصحاب النبيِّ ﷺ، فقال:

(حُـــبُّ «الصَّـــحابَةِ» كُلِّهِـــمْ لِـــي مَـــذْهَبٌ وَمَـــوَدَّةُ القُرْبَـــىٰ بِهَـــا أَتَوَسَّـــلُ)

فبيَّن معتقده، وأنه معتقد أهل السنة والجماعة الذين مذهبهم حبُّ أصحاب النبي ﷺ، وكنّا نتحدث قريبا في هٰذا الموضوع بالذَّات[1] حبِّ أصحاب النبيِّ ﷺ الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وعرفنا منازلهم، وعرفنا أنَّ أفضلهم الخلفاء الأربعة، وأنَّ كلَّ واحد منهم علىٰ فضل عظيم وجانب من الخير كبير، وإن كان بعضهم أفضل من بعض؛ كما أخبر اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن أفضلية المهاجرين ويتبعهم الأنصار، ويأتي من بعدهم أتباعهم، وبيّن أفضلية من قاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح علىٰ من قاتلوا وأنفقوا من بعد الفتح، وبيَّن فضل أصحاب الشجرة بيعة الرِّضوان، وبيّن أيضا فضل أصحاب بدر، إلىٰ غير ذلك من الثَّناء علىٰ أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) في «شرح العقيدة الواسطية».

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

فبيّن هٰذا الإمام الجليل أنه يعتقدُ حبَّ أصحابَ النبي ﷺ:

فلم يسلك مسلك الرّوافض الذين غلوا في بعضٍ كعلي بن أبي طالب وأهل بيته، وجفوا آخرين كأبي بكر وعمر وعثمان وأبي هريرة وحفصة وعائشة وغيرهم، واتَّهموهم بالنِّفاق.

ولم يسلك مسلك الخوارج الذين كفَّرُوا عليًّا ومن معه واستحلُّوا دماءهم وأموالهم.

وهٰذا هو معتقد الطَّائفة النَّاجية المنصورة.

وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: هٰذا هو مذهبه؛ حب أصحاب رسول الله علىٰ التفصيل الذي مضىٰ (**وَمَوَدَّةُ القُرْبىٰ بِها أَتَوَسّلُ**) أي يودّ قرابة النبي ﷺ -كما سبق معنا في العقيدة الواسطية قريبا-: حبُّ قرابة النبي ﷺ الذين آمنوا به، وحبُّ زوجاته الطَّاهرات المطهَّرات، حبُّهم فرض وواجب ولا يجوز بُغضهم وهضم حقِّهم أبدا، لذا قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الشورىٰ:٢٣]، أي تودوا قرابتي من أجلي.

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ لكِنَّما «الصِّدِّيقُ» مِنْهُمْ أَفْضَلُ

[الشرح]

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ لكِنَّما «الصِّدِّيقُ» مِنْهُمْ أَفْضَلُ

لكلِّ واحدٍ من أصحاب النبي ﷺ منزلةٌ رفيعة عند الله وقدر عظيم عند الله والصَّالحين من عباد الله؛ لكن الصديق أعظمُهم فضلًا وخيرُهم بعد النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ- وبعد الرسل والأنبياء السَّابقين.

ثم بعد الصِّدِّيق: عمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي بن أبي طالب أبا السِّبطين.

هٰذه عقيدة الإمام ابن تيمية فيما يتعلق بأصحاب النَّبي ﷺ.

وأَقُولُ في «القُرآنِ» ما جاءَتْ بِهِ آياتُهُ فَهُوَ القَدِيمُ المُنْزَلُ

[الشرح]

قال:

وأَقُولُ في «القُرآنِ» ما جاءَتْ بِهِ آياتُهُ فَهُوَ القَدِيمُ المُنْزَلُ

هٰذا بيانٌ لمعتقده في القرآن الكريم، فهو يؤمن بأنَّ القرآن الكريم كتابُ الله منزّل غير مخلوق، من الله بدأ وإليه يعود، وأنّه حروفٌ وكلماتٌ وآيات وسور كلها كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ليس منها شيءٌ من كلام البشر أبدًا، فجبريل مبلِّغ ومحمد مبلِّغ -عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، والناسُ يتلون هٰذا القرآن الذي هو كلام الله ﷻ بأصواتِهم ويكتبونه بأقلامهم، وذلك لا يخرجه عن كونه كلامُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهٰذا معتقد أهل السُّنّة والجماعة مشىٰ عليه هٰذا الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال: (**وأَقُولُ في القُرآنِ ما جاءَتْ بِهِ آياتُهُ**) جاء في الآيات والأحاديث بأن القرآن منزَّل من عند الله وأنه

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

كلام الله، كما قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦]، وكما قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[يوسف]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾[الدخان].

إذن فهو منزَّل من عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، تكلّم به قولا، وأنزله وحيًا، وبلّغه جبريل، وبلّغه محمَّد بدون زيادةٍ ولا نقصان.

فنسبته إلىٰ جبريل وإلىٰ محمد ﷺ نسبة تبليغ، ونسبته إلىٰ الله ﷻ هو كلامه؛ قوله حقيقة.

لا كما يقول أهل البدع والضلال من أنَّ القرآن مخلوق:

ومنهم من نفىٰ هٰذه الصفة كغيرها من الصفات نفيًا باتًّا.

ومنهم من خبَّط فيها بدون علم فقالوا: إنَّ القرآن كلام الله بلا حرف ولا صوت، ونحو ذلك.

ومنهم من توقّف.

وكل هٰذا ضلال.

والمعتقد الصَّحيح هو ما مشىٰ عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ومنهم هٰذا الإمام الجليل أنَّ عقيدته في القرآن ما جاءت به آيات القرآن.

قال: (فَهُوَ القَدِيمُ المُنزَلُ) والمراد به أنَّه صفة الله؛ أنَّه **قديم النوع، حادث الآحاد**، وهٰذا ما يعبّر به السلف في القرآن يقولون: قديم النوع حادث الآحاد. أي: إنه صفة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من صفاته، وحادث الآحاد أي النزول، فإن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أنزله في ثلاث وعشرين سنة علىٰ قول جمهور أهل العلم، تنزيل السورة وتنزيل الآيات وتنزيل آية واحدة، وهكذا حتىٰ اكتمل نزول القرآن والسنة المطهرة في ثلاثٍ وعشرين سنة، ولما اكتمل الوحيان انتقل النبيُّ الكريم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ، توفّاه الله كغيره من الرُّسل والأنبياء الذين سبقوه، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾[الأنبياء]، وأخبر اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾[آل عمران]، اكتملت نزولا، دل علىٰ ذلك مفهوم الكتاب والسنة.

وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالْمُصْطَفَىٰ الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

[الشرح]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالْمُصْطَفَىٰ الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ)

يعني يقول في القرآن الكريم بل وفي غيره من الصفات يقول بما قال الله وبما قال الرسول الهادي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، والذي قاله الله وقاله رسوله أن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق، كما سبق في الآيات التي ذكرتها آنفا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[الدخان:٣]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦]، ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾[الجن:١]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

﴿ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم]، آيات القرآن شاهدة بأن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه قديم النوع وحادث الآحاد، ولم ينزل جملة واحدة وإنما نزل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث والوقائع والأسئلة التي ترد على النبي ﷺ فيأتي جوابها من عند الله، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[البقرة:١٨٩]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[البقرة:٢١٩]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾[البقرة:٢١٧]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[الأنفال:١]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢﴾[النازعات]، أسئلة والنبي ﷺ يأتيه الجواب من عند الله فيجيب، وما قاله الله ﷻ بلَّغه رسول الله ﷺ.

وجميعُ «آياتِ الصِّفاتِ» أُمِرُّها ... حَقًّا كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

[الشرح]

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ -إمام المسلمين- في «لاميته»:

(وجميعُ «آياتِ الصِّفاتِ» أُمِرُّها ... حَقًّا كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ)

آيات الصفات في كتاب الله ﷻ يجب إمرارها كما جاءت، وهٰذا مذهب السلف في كل زمان ومكان، إمراراها كما جاءت، لِمَا جاءت له.

وليس المراد بالإمرار التفويض، وإنما المراد (إمرارها كما جاءت) للمعاني التي جاءت لها بالفهم الصحيح، فكلما وجدنا نصًّا من القرآن فيه إثبات اسم لله أو صفة لله ﷻ نُمرّها كما جاءت؛ أي: للمعنىٰ الذي جاءت له مبيِّنين ذلكم المعنىٰ.

فمثلا قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾[المائدة]، ﴿قَدِيرٌ﴾ اسم لله عز شأنه، من أسماء الله الحسنىٰ، دلّ علىٰ إثبات صفة القدرة صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله، لا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، هٰذا معنىٰ الإمرار؛ إمرارُها مع بيان ما دلَّت عليه من المعاني.

ومثل ذلك النصوص النبوية التي جاءت في باب الأسماء والصفات كقول النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدا، مَن أحصاها دخل الجنة**»،[1] فيؤمن المؤمن بهٰذه الأسماء، وليس المقصود منها الحصر أيضا، وإنما لله أسماء حسنىٰ استأثر بعلمها كما في الدعاء المأثور «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[2] الحديث، ودلالتها علىٰ الصفات ظاهرة لذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وجميعُ «آياتِ الصِّفاتِ» أُمِرُّها ... حَقًّا كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ)

أي من أصحاب النبي ﷺ وتبعهم علىٰ ذلك أئمة العلم من التابعين وأتباع التابعين من القرون المفضلة، ومشىٰ علىٰ هٰذا الدَّرب أتباع الطائفة الناجية المنصورة.

والمراد بـ(الطِّرازُ الأَوَّلُ) أصحاب النبي ﷺ وأهل القرون المفضلة.

---

(١) البخاري (٧٣٩٢)، مسلم (٢٦٧٧).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وابن حبان رقم ٢٣٧٢ (موارد)، والحاكم (١/ ٥٠٩)، وذكره الشيخ الألباني في الأحاديث الصحيحة رقم (١٩٩).

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

(وَأَقُـــولُ قَـــالَ اللهُ جَـــلَّ جَـــلالُهُ وَالْمُصْـــطَفَىٰ الْهَـــادِي وَلاَ أَتَـــأَوَّلُ)

يعني يقول في هٰذا الباب باب الأسماء والصفات بما قال الله -جل جلاله- من إثبات الأسماء الحسنىٰ.

وأَرُدُّ عُـــــهْدَتَهَا إِلَـــــىٰ نُقَّالِهَـــــا وأصـــونُها عـــن كُـــلِّ مـــا يُتَخَيَّـــلُ

[الشرح]

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وأَرُدُّ عُـــــهْدَتَهَا إِلَـــــىٰ نُقَّالِهَـــــا وأصـــونُها عـــن كُـــلِّ مـــا يُتَخَيَّـــلُ)

(وأَرُدُّ عُـهْدَتَهَا) أي جميع نصوص الصفات، (إِلَىٰ نُقَّالِهَا) يعني إلىٰ من نقلوا نصوص الصفات، لأن الدين أُخذ من الثقات عن الثقات، كتابُ الله وسنة النبي ﷺ، فالثقات رواياتهم مقبولة وعلومهم منقولة، وهم أهل الصواب.

ويجب صيانتها من التحريف والتأويل الباطل والتعطيل، وكما يجب أيضا صيانتها عما يتخيَّلُه أهل الباطل من أهل البدع والضلال ممن ضلوا في هٰذا الباب.

قُبْحًـــا لِمَـــنْ نَبَـــذَ «القُـــرَانَ» وراءَهُ وإذا اسْـــتَدَلَّ يقـــولُ: قـــالَ «الأخطَـــلُ»

[الشرح]

ثم قال:

(قُبْحًـــا لِمَـــنْ نَبَـــذَ «القُـــرَانَ» وراءَهُ وإذا اسْـــتَدَلَّ يقـــولُ: قـــالَ «الأخطَـــلُ»)

هٰذا دعاء علىٰ من يترك في الاستدلال سواء في هٰذا الباب -باب الأسماء والصفات- أو غيره يترك الاستدلال بما قال الله وقال رسوله ويعمد إلىٰ أقوال الرِّجال.

وفي قوله: (قَالَ «الأخطَلُ») يشير إلىٰ الذين حرّفوا صفة الاستواء فسّروا الاستواء وهم الأشاعرة فمن فوقهم من المعتزلة والجهمية فسروا الاستواء بالاستيلاء.

أما الجهمية فنفوا الصفات نفيا باتا، و المعتزلة كذلك نفوا الصفات.

والأشاعرة هم الذين أولوا تأويلا باطلا فقالوا في صفة الاستواء ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]؛ أي استولىٰ، واستدلوا علىٰ هذا التفسير الخاطئ بقول الأخطل النصراني:

بشـــر قـــد اســـتوىٰ علـــىٰ العـــراق مـــن غيـــر ســـيف أو دم مهـــراق

لذلك أشار إلىٰ هذا البيت الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وخطّأ من تمسكوا به واستدلوا علىٰ أن الاستواء يفسر بالاستيلاء وعلىٰ ذلك كلام العرب، والأخطل النصراني ليس من العرب، وليس ممن يعتد بعربيته، قالوا: يفسر الاستواء بالاستيلاء بدليل قول الشاعر:

بشـــر قـــد اســـتوىٰ علـــىٰ العـــراق .....

أي استولىٰ، وتركوا تفسير السلف الصالح وأتباعهم الذين هم أولىٰ بفهم نصوص الكتاب والسنة

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

وأولىٰ بفهم أبواب العلم لاسيما هٰذا الباب العظيم الذي هو أصل الدين وقاعدته.

وَالْمُؤمِنُـــونَ يَـــرَوْنَ حقًّـــا ربَّهُـــمْ وإلـــىٰ السَّمـــاءِ بِغَيْـــرِ كَيْـــفٍ يَنْـــزِلُ

[الشرح]

هٰذا البيت:

(وَالْمُؤمِنُـــونَ يَـــرَوْنَ حقـــًا ربَّهُـــمْ وإلـــىٰ السَّمـــاءِ بِغَيْـــرِ كَيْـــفٍ يَنْـــزِلُ)

في بيان شيئين من منهج أهل السنة والجماعة:

١- رؤية المؤمنون ربهم في الجنة، كما ثبت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وكما مضىٰ بيانه في العقيدة الواسطية لصاحب المنظومة.

٢- (وإلىٰ السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) إشارة إلىٰ حديث النزول الذي قال فيه النبي ﷺ: «ينزل ربُّنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا إذا بقي ثلث الليل، ويقول: هل من داع فأجيبه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ حتىٰ يبرز الفجر»(١)؛ ولكن لا يجوز أن يُسأل عن كيفية النّزول، ولا يجوز أن يُسأل عن كيفية الذات والصِّفات عموما؛ وإنّما يُسأل عن معانيها، وأما عن الكيفية فلا يجوز.

وأُقِـــرُ بالميـــزانِ والحَـــوضِ الـــذي أَرجـــو بـــأنّي مِنْـــهُ رِيّـــًا أَنْهَـــلُ

[الشرح]

بيان لمعتقد أهل السنة والجماعة وأنهم يؤمنون بالميزان لأنه جاء في القرآن ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف:٠٨]، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾[القارعة].

وكذلك وجوب الإيمان بالحوض؛ حوض النبي ﷺ الذي جاء وصفه بالسنة وصفه النبي ﷺ بأن طوله وعرضه سواء مسيرة شهر، وأنه أحلىٰ من العسل وأشد بياضا من اللبن، من شرب منه شربة لا يضمأ بعدها أبدا(٢)، يؤمن به أهل السنة والجماعة وهٰذا إمام من أئمتهم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكر حُسْنَ الرجاء بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وأن يكون ممن يشرب وينهل من الحوض الذي يؤمن به.

وأنكر الحوض والميزان المعتزلة والخوارج وأتباعهم بدون دليل ولا مسوغ وإنما هو بالتأويل الباطل.

وكـــذا الصِّـــراطُ يُمَـــدُّ فـــوقَ جَهَـــنَّم فَمُسَـــلَّمٌ نَـــاجٍ وآخَـــرَ مُهْمَـــلُ

(١) البخاري، حديث رقم (١١٤٥). مسلم، حديث رقم (٧٥٨).

(٢) انظر «صحيح مسلم»، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته. وانظر أيضا «صحيح البخاري»، كتاب الرقائق، باب في الحوض.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

[الشرح]

فمعتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بالصراط الذي يُنصب علىٰ متن جهنم، تَعْبُرُه الخلائق علىٰ قدر أعمالهم:

فمنهم الناجي الذي لا تمسه النار، كمن يمرّ عليه كالبرق وكالريح.

ومنهم (المهمل) بمعنىٰ غير الناجي، من تمسه النار وتخطفه الكلاليب التي علىٰ الصراط بقدر جريمته ومعاصيه.

وهٰذا الصراط الحِسِّي يؤمن به أهل السنة والجماعة، وأنّه لا وصول إلىٰ الجنة إلا بعد المرور علىٰ الصراط، وقد دلّ علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[مريم]، فإن الورود عند جمهور المفسرين المراد به المرور علىٰ الصراط.

والنَّـــارُ يَصْـــلاها الشَّـــقيُّ بِحِكْمَـــةٍ وكـــذا التَّقِـــيُّ إلـــىٰ الجِنَـــانِ سَـــيَدْخُلُ

[الشرح]

هٰذا مذهب أهل السنة والجماعة استنادا إلىٰ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾[الشورىٰ].

الأشقياء في النار والعياذ بالله حكمة من الله وعدلا.

والأتقياء في الجنة رحمة من الله وفضلا.

فلا يُسَوِّي الخلاَّق العليم بين الأشقياء وبين الأتقياء في الجزاء؛ لأنهم لم يستووا في العمل، قال ﷻ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[القلم]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾[الجاثية].

إذن من دخل النار فهو بعدل الله وحكمته، ثم بالعمل الذي أسلفه في حياة العمل -عمل السوء والشر- الذي حذره الله من الوقوع فيه ومزاولته.

ومن دخل الجنة فبفضل الله ورحمته ثن بالعمل الذي أسلفه بحياة العمل، كما قال عز شأنه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[الحاقة]، أي أهل الجنة قال ﷻ في النار: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾[الليل: ١٥] وقال ﷻ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾[الليل].

ولِكُـــلِّ حَـــيٍّ عاقـــلٍ في قَبـــرِهِ عَمَـــلٌ يُقارِنُـــهُ هنـــاك وَيُسْـــأَلُ

[الشرح]

هٰذا حق؛ وجوب الإيمان أنه معتقد الطائفة الناجية المنصورة؛ وجوب الإيمان بسؤال القبر، بالسؤال في القبور، وأن القبر إما نعيم، وإما عذاب، إما نعيم للمؤمنين الذين يلهمهم الله الحجة؛ لأنهم أتوا بالأسباب النافعة من عمل الصالحات وترك المنكرات، فيجيبون بما يكون سببا في نجاتهم، فيقول المؤمن: الله ربي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com

وقد ثبت[١] عن النبي ﷺ أنه يأتي إلىٰ الميت في قبره عمله:

يأتي للمؤمن في صورة شاب حسن فيستغرب مجيئه المؤمن، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الحسن الذي يأتي بالخير، فيقول له: أنا عملك الصالح. فيستأنس به.

والشقي يأتيه في صورة مخيفة ورهيبة، فيقول له: من أنت فوجهك وجه الذي يأتي بالشر، فيقول له: أنا عملك.

وهذا حق لأنه ثابت بالنص عن النبي ﷺ. وهو القرين الذي يقارنه في قبره.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات الميت يتبعه ثلاث، فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد، يتبعه المال والأهل والعمل، فيرجع المال والله يبقىٰ العمل**»[٢] فإما أن يكون صالحا فيؤنسه وإما أن يكون طالحا فيوحشه، لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هــٰـذا اعتقـــادُ الشـــافِعيِّ ومالـــكٍ ... وأبـــي حنيفـــةَ ثـــم أحـــمدَ يَنْقِـــلُ

[الشرح]

(يُنْقَلُ) عنهم؛ يعني ما ذكر في هـٰذه القصيدة اللامية من أصول الاعتقاد هو مذهب للأئمة الأربعة جميعا، فإنهم كلهم علىٰ عقيدة واحدة، إلا ما نذر كمخالفة أبي حنيفة في تعريف الإيمان وأنّه أرجأ العمل مع إثاب الأحناف بأن المطيع يثاب علىٰ طاعته والعاصي يعاقب علىٰ معصيته، وأما أبو حنيفة ومخالفته لأهل السنة والجماعة في كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في القرآن وأنه مخلوق فهو رجع عنه ولم يبق عليه أبدا، رجع إلىٰ أهل السنة والجماعة.

فَنُعْمَــانُهُمْ «قَــانٍ» وَ«طعْــقٌ» لِمَالِــكٍ ... وَللشَّــافِعِي «دُرٌّ» وَ«رُمْ» لابْــنِ حَنْبَــلِ[٣]

هـٰذا البيت فيه تصحيف. فالقافية تختلف.

فَــإِنِ اتَّبَعْـــتَ ســـبيلَهُمْ فَمُوَفَّـــقٌ ... وإنِ ابْتَــدَعْتَ فَمــا عَلَيْــكَ مُعَــوَّلُ

[الشرح]

(١) أورده الحديث كاملا الشيخ الألباني في أحكام الجنائز وبدعها المكتب الإسلامي ط٤، صفحة ١٥٦، وقال: أخرجه أبو داود والحاكم والطيالسي وأحمد.. وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين وأقره الذهبي وهو كما قالا.

(٢) البخاري ، حديث رقم (٦٥١٤). مسلم، حديث رقم (٢٩٦٠).

(٣) هـٰذا البيت يرمز لوفيات الأئمة الأربعة بحساب الجمل:

«قَانٍ»: ١٠٠+١+٥٠=١٥١هـ «طعْقٌ»: ٩+٧٠+١٠٠=١٧٩هـ «دُرٌّ»: ٤+٢٠٠=٢٠٤هـ «رُمْ»: ٢٠٠+٤٠=٢٤٠هـ

واللامية من بحر الكامل وهـٰذا البيت من بحر الطويل، وآخر قافية اللامية مضمومة، وآخر قافية هـٰذا البيت مكسورة.

البيت الأخير السابع عشر هو الذي يتعلق بالأبيات الأولىٰ:

(فـــإِنِ اتَّبَعْـــتَ ســـبيلَهُمْ فَمُوَفَّـــقٌ وإِنِ ابْتَـــدَعْتَ فَمـــا عَلَيْـــكَ مُعَـــوَّلُ)

المعنىٰ إن اتبعت سبيل الأئمة الأربعة فذلك علامة التوفيق للحق، وإن خالفتهم وابتدعت قولا أو أقوالا غير ما رأوا واعتقدوا فلا يُعَوَّلُ علىٰ من فعل ذلك، يعني لا يُعْتَدُّ ويعتبر من أهل الاتِّباع وإنما يعتبر من أهل الابتداع. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com